الأدب التفاعلي (إشكالية المصطلح والأجناس الأدبية)

كريم مبروكي
جامعة الجلفة

الملخص بالعربية:

ظهر في الساحة الأدبية والنقدية لون أدبي جديد ، وهو لون أنتجه الحراك الثقافي الموجود في العالم ، هذا الحراك الذي استدعته ضرورة التفاعل بين الإنتاج الأدبي والوسائط الإلكترونية ، هذه الوسائط التي طرحت نفسها بقوة في العمل الأدبي بتنوع أجناسه الأدبية (قصيدة أو رواية أو مسرح أو غيرها من ألأعمال الأدبية الأخرى) ، فكان للمؤثرات الصوتية والصورية المستخدمة من طرف المبدع وقع في عملية التلقي ،وإن اختلف فيه أهو سلبي أم إيجابي ؟

والسؤال الرئيس في هذا الطرح : كيف يسمى هذا اللون؟ أهو الأدب ألإلكتروني أم الأدب التفاعلي أم الأدب الرقمي أم الأدب المعلوماتي؟ وكيف تفاعلت أجناسه الأدبية مع الوسائط المعرفية التكلونوجية؟

الكلمات المفتاحية :الأدب .التفاعلي .إشكالية .المصطلح .الأجناسية

1/ مفهوم الأدب التفاعلي:

يعتبر الأدب التفاعلي شكل من أشكال التعبير في الأدب: والذي ظهر حديثا، وكان ظهوره في العالم الغربي قبل العالم العربي، لأن الأدب التفاعلي يلقى في الغرب رواجا أكبر مما هو عليه عند العرب، فالعرب ما زالوا حديثي عهد به.

وهو أدب تزامن ظهوره مع زيادة الحاجة لتطور التكنولوجي المستمر والذي شهدته الحياة العصرية إذ أصبح من الضروري التعامل مع هذه الوسائل التي اقتحمت جميع الميادين بإذن أو من دون إستأذان:

ومما يجب الإشارة إليه هو أن هذا الأدب عرف بعدة مصطلحات منها: الأدب الرقمي، الأدب الإلكتروني، الأدب التفاعلي، الأدب المعلوماتي.

فنجد مثلا إبراهيم أحمد ملحم معرفا: "توصف النصوص التي تنتمي إلى الأدب وتعرض للقارئ عبر أحد الوسائط الإلكترونية، بصورة لا تختلف مما يمكن أن يقدمه الورق، بأنها رقمية، ويمتد الوصف إلى الكتب التي حولت إلى صيغية (PDF) فيطلق على المجموعة منها المكتبة الرقمية أو المكتبة الإلكترونية"[1]، وهو بذلك يدرج ضمن الأدب الرقمي كل الكتب والمخطوطات أو المؤلفات المرقمنة أو المحولة لجهاز الحاسوب.

ونجد الدكتور ملحم يقول " الأدب الرقمي يرادف الأدب الإلكتروني، ولا فرق بينهما"[2]، غير أن في معنى المصطلحان- في رأي- قد يختلفان فالأدب الإلكتروني ربما يقصد به كل أدب محمل في وسائل ووسائط إلكترونية، أما الأدب الرقمي قد يأتي أحدهم ويقول أن الأرشيف المرقمن قد يصبح أدب رقمي.

ونسير أيضا قدما محاولين التفريق أو لنقل الإشارة إلى مفهوم من المفاهيم:" الأدب التفاعلي هو الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة- في تقديم حس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية من خلال الشاشة الزرقاء ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص"[3]، وهو تعريف من الناقدة فاطمة البريكي وضحت فيه أن الأدب التفاعلي لصق بالوسائل الإلكترونية، وزادت على ذلك أنها أردفت إلى جانب ذلك المساحة الكبيرة التي يجب أن تمنح للمتلقي حتى يتفاعل هو الآخر من النص والذي قد تكون ثمار هذا التفاعل هو الإنتاج أو إعادة الإنتاج من جديد، غير أن الملفت في هذا التعريف هو كلمة "التفاعلي" والذي تبدو- في رأي- غير دقيقة، فهي ليس بالضرورة قد تشير إلى ما قالت فاطمة البريكي، فقد يقول آخر استنادا إلى المعنى اللغوي لكلمة (التفاعل)، أن الأدب التفاعلي بذلك هو كل أدب يمكن أن ينتج

أدب آخر، جراء التفاعل بين المؤلف والمتلقي، وقد ذكر عمر زرقاوي عدة مصطلحا وتسميات لهذا الأدب التفاعلي في إحدى المجالات[4]، نذكر منها:

- حسام الخطيب في مرجع له (الأدب والتكنولوجيا وجسر النص الموسع) (أفاق الإبداع ومرجعيته في عصر المعلوماتية) أي محاولة ربط الأدب بالتكنولوجيا.

- نيلي علي في مرجع له (العرب وعصر المعلومات) وتحدث فيه عن الثقافة العربية وعصر المعلومات.

- يحي صالح بوتردين في مرجع له (تحليل الخطاب الفائق من الشفهية إلى التواصل الإلكتروني)، ربط هو الآخر بالوسائط الإلكترونية وتحول الأدب إلى عصر جديد وهو العولمة.

- عز الدين إسماعيل في مرجع له (العولمة وأزمة المصطلح).

- سعيد يقطين في مرجع له (من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي).

- عز الدين مناصرة في مرجع له (علم التناص المقارن، نحو منهج عنكبوتي تفاعلي، وهو مرجع تحدث فيه عن ظاهرة هجرة النصوص في الشبكة العنكبوتية من كاتب إلى كاتب آخر في جو تعالقي.

- عبد السلام بن عبد العالي في مرجع له (ثقافة الكتاب وثقافة الشاشة).

وعليه يمكن القول أنه مما سبق يتضح أن دقة المصطلح لازالة محل اختلاف بين النقاد فلم يحدد لها ضبط بعد، فالأدب التفاعلي مصطلح عند البعض ، والبعض الآخر يفضل الرقمي وآخر الإلكتروني، والأخر يفضل أدب العولمة والآخر أدب الشبكة العنكبوتية وغيرها من المصطلحات.

ومهما كان هذا الاختلاف فهي كلها مصطلحات وإن اختلفت في التسمية إلا أنها اتفقت إلى الإشارة إلى ذلك الأدب الذي يكتب في كل الوسائط العصرية أي على الشاشة، والذي من شأنه أن يحقق التفاعل بين المؤلف والمتلقي، ذاك التفاعل الذي من شأنه أن ينتج نص أو نصوص أخرى في شكل وكأنه عملية تفاعلية تشاركية تواصلية إنتاجية مستمرة غير متناهية.

2/ الأجناس الأدبية التفاعلية:

ساهمت الوسائط التكنولوجيا في إضفاء أشياء جديدة في الأدب التفاعلي في مختلف أجناس الأدبية، وكان ذلك في القصة والمسرح والشعر والرواية.

أ/ الرواية التفاعلية:

وهي جنس أدبي ارتبط في العصر هذا كثيرا بالتكنولوجيا، وهو ارتباط جعل لرواية مكانة هامة وسط الجماهير الأدبية، كونه ساهم بقسط كبير في عملية تسويق هذا الجنس، وإيصاله إلى الجميع بطريقة سريعة وشاملة، وقد كان العالم الغربي هو السباق في هذا الجنس، حيث كانت أول رواية تفاعلية لمايكل جويس بعنوان قصة بعد الظهيرة "afternoon a story" عام 1986 مستخدما برنامج story speau.[5]

وهذا الجنس الأدبي استفادا كثيرا- لنقل- من التكنولوجيا من حيث المؤثرات الصوتية، وأيضا الصورة والحركات والديكور وغيرها.. بحيث يركز المؤلف من الوهلة الأولى على إنتاج العمل الأدبي الروائي من خلال الاستحضار الدائم للمتلقي في كل خطة، فيصبح بذلك المتلقي شريك غير مباشر في عملية الإنتاج، ومن بعد الإنتاج يتحول إلى منتج جديد.

ونجد فاطمة البريكي تقول " إن امتلاك أدوات العصر سيؤدي إلى تمكن المبدع من أداء دوره الخلاق بشكل أفضل منه في حال عدم امتلاكه لها، إذ يصبح قادرا على التفكير بطريقة تتناسب أيضا مع العصر الذي يعيشه، وأن يبتكر طرقا جديدة لتقديم إبداعه تتلاءم أيضا مع عصره ومن شأن هذا أن يوثر في الطريقة التي سيتلقى الجمهور نصه وكيفية تفاعله معه".[6]

وعليه بانتقال الرواية من المكتوب الورقي إلى الرقمي، يجب أيضا أن يتحول معه المؤلف والقارئ (المتلقي) إلى شخص أكثر ثقافة وأكثر وعي حضاري بحيث يصبح قادر على فهم ما يريد المجتمع وفق نظرة إستشرافية.

ونختصر ونقول أن الرواية في العالم العربي لم تعرف رواجا كبيرا فيما سمي بالرواية الرقمية، وظلت حبيسة الكتب، ولعل أول من كتب رواية تفاعلية رقمية حسب أحمد فضل شبلول هو محمد سناجلة حين قال:".. من يقرأ روايته ظلال الواحد العالم أيضا، استطاع أن يجند تقنيات شبكة الانترنت، ويخضعها لأفكاره الروائية، وكان مثل هذا الأمر يعد حلما من أحلام الروائيين أو الأدباء الذين بدو أو منذ سنوات يتعاملون مع الشبكة وينشرون إنتاجهم الأدبي نشر إلكتروني"[7]، ولكن هذا القول يبقى وجهة نظر فقط لأحد النقاد يحتاج لتأيد كبير لإثبات، فحتى الناقد نفسه أدخل الشك في طرحه هذا المطلق حين قال (ربما)؟

وينبغي أن نشير أن الوسائط الإلكترونية لها دور إيجابي في توسيع رقعة العمل الروائي جماهيرا، ولكن قد تحمل أثر سلبيا في خضم التفاعل الغير محسوب العواقب، فنجد مثلا رواية ذاكرة الجسد لأحلام مستغانمي رقميا لم تحظ بما حظيت به كعمل مكتوب وهذا راجع لعدة أسباب قد تكون من قبل نقص التجربة مع هكذا عمل (رواية تفاعلية) أو نقص خبرة الممثلين، أو عدم التحكم في التقنيات التكنولوجيا أو غيرها مما قلل من شأن العمل الروائي التفاعلي إن قارناه بالعمل الروائي المكتوب.

وأيضا رواية البطل الجزائري مصطفى بن بولعيد الذي صار رمز من خلال ما قرأنا عليه، لكن عندما تحول المكتوب إلى رقمي مرئي (فيلم) لم نرى الشيء الكثير، بل ولنقل بصراحة الشيء القليل حيث حذفت أشياء هامة من تاريخه، وكتبت أشياء جديدة، قد يبررها المؤلف بضرورة (السيناريو) أو ما تقتضيه السينما، وهو ما لم يتقبله الكثير، إلى درجة مطالبة بعضهم بحذفه؟

ب/ المسرحية التفاعلية:

عندما نتحدث عن المسرح التفاعلي، يتبادر إلى ذهننا مباشرة نشأة المسرح في القديم منذ العصر الإغريقي (اليوناني)، وأيضا استمر الاهتمام بهذا الفن في العصر الروماني، وكانت من هذا الفن نوعين (التراجيديا) أو فيما يسمى المأساة، وتعالج فيه قضايا الحزن واليأس و ما شابه ذلك بينما النوع الثاني فهو الملهاة وهي على نقيض من النوع الأول، ويتناول مواضيع الفرح والخير وما شابه ذلك.

وقد عرف هذا في الغرب عناصر أساسية يجب توفرها حتى يكتمل كفن قائم بذاته، ومن بين أهم هذه العناصر وجود مؤلف ذكي يعرف ما يقصد من نصه، وما ينبغي إيصاله للمتلقي وأيضا متلقي في مستوى المؤلف حتى يفهم كل العناصر اللغوية والغير لغوية الموجودة في الرسالة، وذلك في حد تفاعلي، ونقول تفاعلي ونقصد به كممارسة مطبقة ومستعملة وليس كمصطلح، والشاهد على ذلك ما كان يحصل بين المتلقي (الجمهور) و(الممثل) على ميدان المسرح، فيكون التفاعل فيه بالاستحباب والقبول فيكون التصفيق، أو الاستهجان والرفض فيكون التعبير بإصدار أصوات أو بعدم الاكتراث بكل تعابيره المعروفة، فلا يختلفان عن بعضهما البعض"[8]، فكلاهما يقدم على شاشة الحاسوب.

ونجد أيضا فاطيمة البريكي معرفة هذا النوع:" هو ذلك النمط من الكتابة الشعرية الذي لا يتجلى إلا في الوسيط الإلكتروني، معتمدا على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة، مستفيدا من الوسائط الإلكترونية المتعددة في ابتكار أنواع مختلفة من النصوص الشعرية، تتنوع في أسلوب عرضها، وطريقة تقديمها للمتلقي المستخدم الذي لا يستطيع أن يجدها إلا من خلال الشاشة الزرقاء".[9]

وذهبت فاطيمة البريكي إلى" أنه عربيا لم تظهر القصيدة التفاعلية لا على مستوى المفهوم، ولاعلى مستوى المصطلح، ولا على مستوى التطبيق أو الممارسة العلمية حسب علمي، ورغم محاولات بحثي المستمرة إلا أنها كانت تبوء دوما بالفشل".[10]

وتطور هذا الفن عبر الزمن تفاعليا من خلال ما عرف من تطور في الوسائل الإلكترونية باختلاف أشكالها، ونجد فاطمة البريكي تعرف المسرحية التفاعلية قائلة:" هي نمط جديد من الكتابة الأدبية يتجاوز الفهم التقليدي لفعل الإبداع الأدبي الذي يتمحور حول المبدع الواحد، إذا يشترك في تقديمه عدة كتاب كما قد يدعي القارئ المتلقي للمشاركة فيه:" ففاطمة البريكي أدخلت شرط المشاركة في الكتابة بين المؤلف والمتلقي حتى يتحقق ما يسمى بالتفاعلية.

أما السيد نجم فيعرفها قائلا: " شكل آخر اقتحمه الإبداع الرقمي، ولعله يعد اقتحاما مدهشا نظرا لما هو معروف وراسخ من كون المسرح هو"الكلمة/ الحوار" حسب القواعد الأرسطية، إلا أن محاولة"محمد حبيب" وأصدقائه في بلجيكا من العرب والبلجيك أعطى للتجربة أهمية مضافة.. فلم تكن المسرحية في إطارها الشكلي المألوف من خشبة مسرح وجمهور[11] بل كانت مقهى في بلجيكا وأخرى في بغداد وعدد من الأجهزة "كومبيوتر- أجهزة إضاءة- ساحة المقهى هنا وهناك"[12]، وهي تعريف يفسر التغير الذي حصل في المسرح.

بين القديم والمعاصرة، هذا التغير الذي عبرت عنه الوسائل التكنولوجية المعاصرة، التي من شأنها نقل المسرح إلى جو تفاعلي، أو لنقول أصبح أكثر تفاعلية، والسبب هو التفاعل مع كل الأدوات اللغوية (الألفاظ والمعاني والأساليب..) والغير لغوية (صوتية أو ضوئية..).

ومنه فالمسرحية التفاعلية تعتمد وجود مؤلف ذكي يحاول أن يجعل من نصه المسرحي بناء حي (تفاعلي) في جانبية الخارجي والداخلي، كما أنها تتطلب متلقي هو الآخر ذكي واعي حاذق فاهم للنص ومدرك لأبعاد النصية، فيكسر فكرة ذاك القارئ التقليدي المستهلك، ويصبح متلقي تفاعلي تشاركي يفهم النص ويعيد فهمه، فيتحول من متلقي إلى منتج، كما أنها أيضا تحمل نوع من التغير في خشبة المسرح، فبعدما كانت مكان (مبني) معروف، أصبحت تعتمد التنوع في المكان (مقهى- مطعم-مركز ثقافي أماكن رسمية..)، وهذا التغير والتنوع من شأنه أن يحدد شكل ونوع التفاعلي.

ج/ القصيدة التفاعلية:

من نتائج الجمع بين الأدب والتكنولوجيا ظهور مصطلحات ومفاهيم متنوعة ومتدخلة، وهي أحيانا عند البعض باختلاف مصطلحات ذات دلالة واحدة (معنى)، وأحيانا أخر مختلفة ومتباعدة، ولعل السبب في ذلك عامل الترجمة، فهي كما تقول فاطيمة البريكي" بالمحصلة تتردد ثلاث مصطلحات في المجال" التكنو-أدبي" على حد تعبير الناقدة التفاعلية.[13]

- القصيدة التفاعلية: ومقابلها الغربي (interective).[14]
- القصيدة الرقمية: ومقابلها الغربي (digital poem)
-القصيدة الإلكترونية: ومقابلها الغربي (electronic poem)

ومنه نجد الفروق بينهما ما قالت فاطيمة البريكي: " أن الشاعر إذا تجاوز الصيغة الخصبة- المباشرة والتقليدية في تقديم النص إلى المتلقي واعتمد بشكل كلي على تفاعل المتلقي مع النص مستفيدا من الخصائص التي تتيحها التقنيات الحديثة تصبح القصيدة التي يقدمها" تفاعلية" وتعتمد درجة فاعليتها على مقدار الأثر الذي يتركه المبدع للمتلقي، والحرية التي يمنحها إياه للتحرك في فضاء النص، دون قيود أو إجبار بأي شيء، أو توجيه له نحو معنى واحد وحيد، أما الشعر الرقمي والشعر الإلكتروني.

الخاتمة :

وفي الختام يمكن القول أن الساحة الأدبية عرفت حراكا ثقافيا جديد تمثل في تفاعل الأدب باختلاف أجناسه الأدبية مع الوسائط الرقمية مشكلة بذلك ثورة معرفية وتواصل جديد في الشكل وفي المضمون ، يتفاعل فيهما المؤلف والمتلقي مع النص المنتج في جو تفاعلي إبداعي .

غير أن هذا الحراك شهد بداخله موجة من التضارب والاختلاف بين النقاد وأصحاب الاختصاص لوجود رؤى موحدة جامعة شاملة ، وهذا التضارب والاختلاف اتسع ليشمل المصطلح وجميع الأجناس الأدبية من مسرح ورواية وقصة وخطبة وشعر ورسالة وغيرها ..

وقضية الأدب التفاعلي مطروحة على الساحة الأدبية والنقدية الآن ، وستبقى مطروحة باستمرار إلى غاية الوصول إلى مايمكن أن يشفي الغليل سواء على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق.

قائمة المصادروالمراجع :

1. إبراهيم أحمد ملحم- الأدب الرقمي والمصطلحات المتجاورة- مجلة الإمارات الثقافية، 1ع25-26، أبو ظبي سبتمبر2014- ص16.
2. إبراهيم أحمد ملحم- الأدب الرقمي والمصطلحات المتجاورة- مرجع سابق- ص16.
3. فاطمة البريكي- مدخل إلى الأدب التفاعلي- المركز الثقافي- الدار البيضاء- المغرب-ط1-2006- ص49.
4. عمر زرقاوي- الكتابة الزرقاء مدخل في الأدب التفاعلي- مجلة الرافد العدد58 أكتوبر2013، دار الثقافة والإعلام- الشارقة ص2014-2016.
5. صفية علية- مذكرة تحرج دكتوراه- أفاق النص الأدبي ضمن العولمة- إشراف الدكتور علي عالية- بسكرة2014-2015.
6. فاطمة البريكي- الرواية التفاعلية- ورواية الواقية ص73- الرقمية(مقال رقمي)، !http
7. صفية علية- المرجع السابق- ص78.
8. فاطيمة البريكي- المرجع السابق ص72.
9. فاطيمة البريكي- المرجع السابق ص72.
10. فاطيمة البريكي- المرجع السابق ص73.
11. فاطيمة البريكي- مدخل إلى الأدب التفاعلي ص(105-107).
12. السيد نجم- النص الرقمي وأجناسه- العربي الحر مقال رقمي-2012/07/22، http://www.freearabi.com
13. فاطيمة البريكي- مدخل إلى الأدب التفاعلي-ص71.
14. المصدر نفسه- ص71.